الذين لايوقنون): ﴿طريق أخرى﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد أخبرنا شريك عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى قال صلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه صلاة الفجر فناداه رجل من الخوارج (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) فأجابه علي رضى الله عنه وهو في الصلاة (فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفنك الذين لا يوقنون)

﴿ ما روى في فضل هذه السورة الشريفة واستحباب قراءتها في الفجر ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن عبد الملك بن عمير سمعت شبيب بن روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ فيها الروم فأوهم فلما انصرف قال «إنه يلبس علينا القرآن فان أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء فمن شهد منكم الصلاة معنا فليحسن الوضوء » وهذا إسناد حسن ومتن حسن ، وفيه سر عجيب . ونبأ غريب ، وهو أنه ﷺ تأثر بنقصان وضوء من ائتم به فدل ذلك على أن صلاة المأموم متعلقة بصلاة الإمام. آخر تفسير سورة الروم ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة لقمان وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ الٓمٓ * تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾

تقدم في أول سورة البقرة عامة الكلام على ما يتعلق بصدر هذه السورة وهو أنه سبحانه وتعالى جعل هذا القرآن هدى وشفاء ورحمة للمحسنين وهم الذين أحسنوا العمل في اتباع الشريعة فأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها وأوقاتها وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة ، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها ، ووصلوا أرحامهم وقراباتهم وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك لم يراءوا به ولا أرادوا جزاء من الناس ولا شكورا فمن فعل ذلك كذلك فهو من الذين قال الله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) أي على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي (وأولئك هم المفلحون) أي في الدنيا والآخرة

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

لما ذكر تعالى حال السعداء وهم الذين يهتدون بكتاب الله وينتفعون بسماعه كما قال تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) الآية عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء بالألحان وآلات الطرب كما قال ابن مسعود في قوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) قال هو والله الغناء روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب أخبرني يزيد بن يونس عن أبي صخر عن ابن معاوية البجلي عن سعيد بن جبير عن أبي الصهباء البكري أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) فقال عبدالله بن مسعود: الغناء والله الذي لا إله إلا هو ، يرددها ثلاث مرات حدثنا عمرو بن علي حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا حميد الخراط عن عمار عن سعيد بن جبير عن أبي

الصهباء أنه سأل ابن مسعود عن قول الله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) قال الغناء وكذا قال ابن عباس وجابر وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومكحول وعمرو بن شعيب وعلى بن بذيمة . وقال الحسن البصرى نزلت هذه الآية (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) فى الغناء والمزامير ، وقال قتادة: قوله (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم) والله لعله لاينفق فيه مالا ولكن شراؤه استحبابه بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر على ما ينفع ، وقيل أراد بقوله (يشترى لهو الحديث) اشتراء المغنيات من الجوارى ، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسى حدثنا وكيع عن خلاد الصفار عن عبيد الله بن زحر عن على بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال « لايحل بيع المغنيات ولا شراؤهن وأكل أثمانهن حرام ، وفيهن أنزل الله عزوجل على (ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله) » وهكذا رواه الترمذى وابن جرير من حديث عبيد الله بن زحر بنحوه ثم قال الترمذى هذا حديث غريب وضعف على بن يزيد المذكور ﴿ قلت ﴾ على وشيخه والراوى عنه كلهم ضعفاء والله أعلم ، وقال الضحاك فى قوله تعالى (ومن الناس من يشترى لهو الحديث) قال يعنى الشرك وبه قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم واختار ابن جرير أنه كل كلام يصد عن آيات الله واتباع سبيله ، وقوله (ليضل عن سبيل الله) أى إنما يصنع هذا للتخالف للاسلام وأهله وعلى قراءة فتح الياء تكون اللام لام العاقبة أو تعليلا للامر القدرى أى قيضوا لذلك ليكونوا كذلك وقوله تعالى (ويتخذها هزوا) قال مجاهد ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزىء بها وقال قتادة يعنى ويتخذ آيات الله هزوا وقول مجاهد أولى. وقوله (أولئك لهم عذاب مهين) أى كما استهانوا بآيات الله وسبيله أهينوا يوم القيامة فى العذاب الدائم المستمر . ثم قال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا) أى هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية ولى عنها وأعرض وأدبر وتصام وما به من صمم كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها (فبشره بعذاب أليم) أى يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ * خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

هذا ذكر مآل الأبرار من السعداء فى الدار الآخرة الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وعملوا الأعمال الصالحة التابعة لشريعة الله (لهم جنات النعيم) أى يتنعمون فيها بأنواع اللذاذ والمسار من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب والنساء والنضرة والسماع الذى لم يخطر ببال أحدوهم فى ذلك مقيمون دائما لا يظعنون ولا يبغون عنها حولا وقوله تعالى (وعد الله حقا) أى هذا كائن لا محالة لأنه من وعد الله والله لايخلف الميعاد لأنه الكريم المنان الفعال لما يشاء القادر على كل شىء (وهو العزيز) الذى قهر كل شىء ودان له كل شىء (الحكيم) فى أقواله وأفعاله الذى جعل القرآن هدى للمؤمنين (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) الآية ، وقوله (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا)

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ * هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يبين سبحانه بهذا قدرته العظيمة على خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما فقال تعالى (خلق السموات بغير عمد) قال الحسن وقتادة ليس لها عمد مرئية ولا غير مرئية . وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد لها عمد لا ترونها

وقد تقدم تقرير هذه المسألة فى أول سورة الرعد بما أغنى عن إعادته (وألقى فى الأرض رواسى) يعنى الجبال أرست الأرض وثقلتها لئلا تضطرب بأهلها على وجه الماء ولهذا قال (أن تميد بكم) أى لئلا تميد بكم . وقوله تعالى (وبث فيها من كل دابة) أى وذرأ فيها من أصناف الحيوانات مما لا تعلم عدد أشكالها وألوانها إلا الذى خلقها ، ولما قرر سبحانه أنه الخالق نبه على أنه الرازق بقوله (وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أى من كل زوج من النبات كريم أى حسن المنظر . وقال الشعبى والناس أيضا من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم ، وقوله تعالى (هذا خلق الله) أى هذا الذى ذكره تعالى من خلق السموات والأرض وما بينهما صادر عن فعل الله وخلقه وتقديره وحده لا شريك له فى ذلك ولهذا قال تعالى (فأرونى ماذا خلق الذين من دونه) أى مما تعبدون وتدعون من الأصنام والأنداد (بل الظالمون) يعنى المشركين بالله العابدين معه غيره (فى ضلال) أى جهل وعمى (مبين) أى واضح ظاهر لاخفاء به

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾

اختلف السلف فى لقمان هل كان نبياً أو عبدا صالحا من غير نبوة ؟ على قولين الأكثرون على الثانى . وقال سفيان الثورى عن الأشعث عن عكرمة عن ابن عباس قال كان لقمان عبدا حبشياً نجارا وقال قتادة عن عبد الله بن الزبير قلت لجابر بن عبد الله ما انتهى إليكم من شأن لقمان ؟ قال كان قصيرا أفطس الأنف من النوبة ، وقال يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن المسيب قال كان لقمان من سودان مصر ذا مشافر أعطاه الله الحكمة ومنعه النبوة ، وقال الأوزاعى حدثنى عبد الرحمن بن حرملة قال جاء رجل أسود إلى سعيد بن المسيب يسأله فقال له سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل أنك أسود فانه كان من أخير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا ذا مشافر ، وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا أبى عن أبى الأشهب عن خالد الربعى قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له مولاه اذبح لنا هذه الشاة فذبحها قال أخرج أطيب مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، ثم مكث ما شاء الله ثم قال اذبح لنا هذه الشاة فذبحها فقال أخرج أخبث مضغتين فيها فأخرج اللسان والقلب ، فقال له مولاه أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما ، فقال لقمان إنه ليس من شىء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال شعبة عن الحكم عن مجاهد كان لقمان عبدا صالحا ولم يكن نبيا ، وقال الأعمش قال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين ، وقال حكام بن أسلم عن سعيد الزبيدى عن مجاهد كان لقمان الحكيم عبدا حبشيا غليظ الشفتين مصفح القدمين قاضيا على بنى اسرائيل ، وذكر غيره أنه كان قاضيا على بنى إسرائيل فى زمان داود عليه السلام ، وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمرو بن قيس قال كان لقمان عبدا أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين فأتاه رجل وهو فى مجلس ناس يحدثهم فقال له ألست الذى كنت ترعى معى الغنم فى مكان كذا وكذا ؟ قال نعم قال فما بلغ بك ما أرى؟ قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد عن جابر قال : إن الله رفع لقمان الحكيم بحكمته رآه رجل كان يعرفه قبل ذلك فقال له ألست عبد بنى فلان الذين كنت ترعى بالأمس ؟ قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى ! قال قدر الله وأداء الامانة وصدق الحديث وتركى ما لا يعنينى فهذه الآثار منها ما هو مصرح فيه بنفى كونه نبيا ومنها ما هو مشعر بذلك ، لأن كونه عبدا قد مسه الرق ينافى كونه نبياً لأن الرسل كانت تبعث فى أحساب قومها ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة إن صح السند إليه فإنه رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث وكيع عن إسرائيل عن جابر عن عكرمة قال كان لقمان نبيا وجابر هذا هو ابن يزيد الجعفى وهو ضعيف والله أعلم وقال عبد الله بن وهب أخبرنى عبد الله بن عياش القتبانى عن عمر مولى غفرة قال وقف رجل على لقمان الحكيم فقال أنت لقمان أنت عبد بنى الحسحاس ؟ قال نعم ، قال أنت راعى الغنم قال نعم

قال أنت الأسود ! قال أما سوادى فظاهر فما الذى يعجبك من أمرى ! قال وطء الناس بساطك ، وغشيهم بابك ، ورضاهم بقولك ، قال يا ابن أخى إن صغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك ، قال لقمان :غضى بصرى وكفى لسانى وعفة طعمتى وحفظى فرجى وقولى بصدق ، ووفائى بعهدى وتكر متى ضيفى وحفظى جارى وتركى مالا يعنينى ، فذاك الذى صيرنى إلى ما ترى وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن فضيل حدثنا عمرو بن واقد عن عبدة بن رباح عن ربيعة عن أبى الدرداء أنه قال يوما وذكر لقمان الحكيم فقال ما أوتى ما أوتى عن أهل ولامال ولا حسب ولا خصال ولكنه كان رجلا صمصامة سكيتا طويل التفكر عميق النظر لم ينم نهاراً قط ولم يره أحد قط يبزق ولا يتنخع ولا يبول ولا يتغوط ولا يغتسل ولا يعبث ولا يضحك ، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد ، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم ، وكان يغشى السلطان ويأتى الحكام لينظر ويتفكر ويعتبر فبذلك أوتى ما أوتى . وقد ورد أثر غريب عن قتادة رواه ابن أبى حاتم فقال حدثنا أبى حدثنا العباس بن الوليد حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعى حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال : خير الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة قال فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أورش عليه الحكمة قال فأصبح ينطق بها : قال سعيد فسمعت عن قتادة يقول قيل للقمان كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك ؟ فقال إنه لو أرسل إلى بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه ولكنت أرجو أن أقوم بها ولكنه خيرنى فخفت أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلى . فهذا من رواية سعيد بن بشير وفيه ضعف قد تكلموا فيه بسببه فالله أعلم ؛ والذى رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أى الفقه فى الإسلام ولم يكن نبياً ولم يوح إليه وقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة) أى الفهم والعلم والتعبير (أن اشكر لله) أى أمرناه أن يشكر الله عز وجل على ما آتاه الله ومنحه ووهبه من الفضل الذى خصه به عمن سواه من أبناء جنسه وأهل زمانه ثم قال تعالى (ومن يشكر فانما يشكر لنفسه) أى إنما يعود نفع ذلك وثوابه على الشاكرين لقوله تعالى (ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون) وقوله (ومن كفر فان الله غنى حميد) أى غنى عن العباد لا يتضرر بذلك ولو كفر أهل الأرض كلهم جميعا فانه الغنى عما سواه ؛ فلا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن وصية لقمان لولده وهو لقمان بن عنقاء بن سدون واسم ابنه ثاران فى قول حكاه السهيلى . وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر وأنه آتاه الحكمة وهو يوصى ولده الذى هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا ثم قال محذرا له (إن الشرك لظلم عظيم) أى هو أعظم الظلم قال البخارى حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال لما نزلت (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إنه ليس بذلك ألا تسمع إلى قول لقمان (يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) » ورواه مسلم من حديث الأعمش به ثم قرن بوصيته إيا بعبادة الله وحده البر بالوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وكثيرا ما يقرن تعالى بين ذلك فى

القرآن ؛ وقال ههنا (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال مجاهد مشقة وهن الولد ؛ وقال قتادة جهدا على جهد ؛ وقال عطاء الخراسانى ضعفا على ضعف . وقوله (وفصاله فى عامين) أى تربيته وإرضاعه بعد وضعه فى عامين كما قال تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) الآية ومن ههنا استنبط ابن عباس وغيره من الأئمة أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه قال فى الآية الأخرى (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وإنما يذكر تعالى تربية الوالدة وتعبها ومشقتها فى سهرها ليلا ونهار ليذكر الولد باحسانها المتقدم إليه كما قال تعالى (وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا) ولهذا قال (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) أى فإنى سأجزيك على ذلك أوفر جزاء قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله بن أبى شيبة ومحمود بن غيلان قالا حدثنا عبيد الله أخبرنا إسرائيل عن أبى إسحق عن سعيد بن وهب قال : قدم علينا معاذ بن جبل وكان بعثه النبى صلى الله عليه وسلم فقام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال إنى رسول رسول الله ﷺ إليكم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تطيعونى لا آلوكم خيرا ، وإن المصير إلى الله إلى الجنة أو إلى النار إقامة فلا ظعن وخلود فلا موت . وقوله (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما) أى إن حرصا عليك كل الحرص على أن تتابعهما على دينهما فلا تقبل منهما ذلك ولا يمنعك ذلك من أن تصاحبهما فى الدنيا معروفا أى محسناً إليهما (واتبع سبيل من أناب إلى) يعنى المؤمنين (ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون) قال الطبرانى فى كتاب العشرة حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أحمد بن أيوب بن راشد حدثنا مسلمة بن علقمة عن داود بن أبى هند أن سعد بن مالك قال أنزلت فىّ هذه الآية (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعمها) الآية قال كنت رجلا براً بأمى فلما أسلمت قالت يا سعد ما هذا الذى أراك قد أحدثت لتدعن دينك هذا أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فتعير بى فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلى يا أمه فانى لا أدع دينى هذا لشىء . فمكثت يوما وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما آخر وليلة لم تأكل فأصبحت قد جهدت فمكثت يوما وليلة أخرى لا تأكل ، فأصبحت قد اشتد جهدها ، فلما رأيت ذلك قلت يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت دينى هذا لشىء فان شئت فكلى وإن شئت لا تأكلى . فأكلت

﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾

هذه وصايا نافعة قد حكاها الله سبحانه عن لقمان الحكيم ليمتثلها الناس ويقتدوا بها فقال (يا بنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل) أى إن المظلمة أو الخطيئة لو كانت مثقال حبة خردل . وجوز بعضهم أن يكون الضمير فى قوله إنها ضمير الشأن والقصة ، وجوز على هذا رفع مثقال والأول أولى . وقوله عز وجل (يأت بها الله) أى أحضرها الله يوم القيامة حين يضع الموازين القسط وجازى عليها إن خيرا فخير وإن شرا فشر كما قال تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) الآية وقال تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذره شرا يره) ولو كانت تلك الذرة محصنة محجبة فى داخل صخرة صماء أو غائبة ذاهبة فى أرجاء السموات والأرض فان الله يأتى بها لأنه لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولهذا قال تعالى (إن الله لطيف خبير) أى لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت وتضاءلت (خبير) بدبيب النمل فى الليل البهيم

وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله (فتكن فى صخرة) أنها صخرة تحت الأرضين السبع ، وذكره السدى بإسناده ذلك المطروق عن ابن مسعود وابن عباس وجماعة من الصحابة إن صح ذلك ، ويروى هذا عن عطية العوفى وأبى مالك والثورى والنهال بن عمرو وغيرهم وهذا والله أعلم كأنه متلقى من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب والظاهر والله أعلم أن المراد أن هذه الحبة فى حقارتها لو كانت داخل صخرة فان الله سيبديها ويظهرها بلطيف علمه . كما قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان » ثم قال (يا بنى أقم الصلاة) أى بحدودها وفروضها وأوقاتها (وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر) أى بحسب طاقتك وجهدك (واصبر على ما أصابك) علم أن الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى فأمره بالصبر وقوله (إن ذلك من عزم الأمور) أى إن الصبر على أذى الناس لمن عزم الأمور وقوله (ولا تصعر خدك للناس) يقول لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقاراً منك لهم واستكباراً عليهم ، ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم كما جاء فى الحديث « ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط ، وإياك وإسبال الازار فإنها من المخيلة والمخيلة لا يحبها الله » قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (ولا تصعر خدك للناس) يقول لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك ، وكذا روى العوفى وعكرمة عنه ، وقال مالك عن زيد بن أسلم (ولا تصعر خدك للناس) لا تتكلم وأنت معرض وكذا روى عن مجاهد وعكرمة ويزيد بن الاصم وأبى الجوزاء وسعيد ابن جبير والضحاك وابن زيد وغيرهم ، وقال إبراهيم النخعى يعنى بذلك التشدق فى الكلام . والصواب القول الأول قال ابن جرير وأصل الصعر داء يأخذ الإبل فى أعناقها أو رءوسها حتى تفلت أعناقها عن رءوسها فشبه به الرجل المتكبر ومنه قول عمرو بن حي التغلبى

وكنا إذا الجبار صعر خده * أقمنا له من ميله فتقوما

وقال أبو طالب فى شعره :

وكنا قديماً لا نقر ظلامة * إذا ما ثنوا صعر الرءوس نقيمها

وقوله (ولا تمش فى الأرض مرحا) أى خيلاء متكبرا جبارا عنيدا لا تفعل ذلك يبغضك الله ولهذا قال (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أى مختال معجب فى نفسه فخور أى على غيره ، وقال تعالى (ولا تمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) وقد تقدم الكلام على ذلك فى موضعه وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمى حدثنا محمد بن عمران بن أبى ليلى حدثنا أبى عن ابن أبى ليلى عن عيسى عن عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن ثابت بن قيس بن شماس قال : ذكر الكبر عند رسول الله ﷺ فشدد فيه فقال « إن الله لا يحب كل مختال فخور » فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إنى لأغسل ثيابى فيعجبنى بياضها ويعجبنى شراك نعلى وعلاقة سوطى ، فقال « ليس ذلك الكبر إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس » ورواه من طريق أخرى بمثله وفيه قصة طويلة ومقتل ثابت ووصيته بعد موته وقوله (واقصد فى مشيك) أى امش مقتصدا مشيا ليس بالبطىء المتثبط ولا بالسريع المفرط بل عدلا وسطا بين بين . وقوله (واغضض من صوتك) أى لا تبالغ فى الكلام ولا ترفع صوتك فيما لا فائدة فيه ولهذا قال (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) قال مجاهد وغير واحد إن أقبح الأصوات لصوت الحمير أى غاية من رفع صوته أنه يشبه بالحمير فى علوه ورفعه ، ومع هذا هو بغيض إلى الله تعالى ، وهذا التشبيه فى هذا بالحمير يقتضى تحريمه وذمه غاية الذم لأن رسول الله ﷺ قال « ليس لنا مثل السوء العائد فى هبته كالكلب يقى ثم يعود فى قيئه » وقال النسائى عند تفسير هذه الآيه حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا الليث عن جعفر بن ربيعة عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله ، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا » وقد أخرجه بقية الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن جعفر بن ربيعة

به ، وفى بعض الألفاظ بالليل فالله أعلم فهذه وصايا نافعة جداً وهى من قصص القرآن العظيم عن لقمان الحكيم وقد روى عنه من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فلنذكر منها أنموذجا ودستورا إلى ذلك قال الإمام أحمد حدثنا على ابن إسحاق أخبرنا ابن المبارك أخبرنا سفيان أخبرنى نهشل بن مجمع الضبى عن قزعة عن ابن عمر قال : أخبرنا رسول الله ﷺ قال « إن لقمان الحكيم كان يقول إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » وروى ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عيسى بن يونس عن الأوزاعى عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة أن رسول الله ﷺ قال : « قال لقمان الحكيم لابنه وهو يعظه يابنى إياك والتقنع فانه مخوفة بالليل مذمة بالنهار » وقال حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عثمان بن ضمرة حدثنا الثرى بن يحيى قال : قال لقمان لابنه يابنى إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا عبد الرحمن المسعودى عن عون بن عبد الله قال : قال لقمان لابنه يابنى إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الإسلام يعنى السلام ثم اجلس فى ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فان أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك معهم ، وإن أفاضوا فى غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عمرو بن عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار حدثنا ضمرة عن حفص بن عمر قال : وضع لقمان جرابا من خردل إلى جانبه وجعل يعظ ابنه وعظة ويخرج خردلة حتى نفد الخردل فقال يابنى لقد وعظتك موعظة لو وعظها جبل تفطر قال فتفطر ابنه ، وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الباقى المصيصى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الخزاعى ثنا عثمان بن عبد الرحمن الطرائفى حدثنا أنس بن سفيان المقدسى عن خليفة بن سلام عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « اتخذوا السودان فان ثلاثة منهم من سادات أهل الجنة : لقمان الحكيم والنجاشى وبلال المؤذن » . قال الطبرانى أراد الحبش ﴿ فصل فى الخمول والتواضع ﴾ وذلك متعلق بوصية لقمان عليه السلام لابنه وقد جمع فى ذلك الحافظ أبو بكر بن أبى الدنيا كتابا مفرداً ونحن نذكر منه مقاصده قال : حدثنا إبراهيم ابن المنذر حدثنا عبد الله بن موسى المدنى عن أسامة بن زيد بن حفص بن عبد الله بن أنس عن جده أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « رب أشعث ذى طمرين يصفح عن أبواب الناس إذا أقسم على الله لأبره » ثم رواه من حديث جعفر بن سليمان عن ثابت وعلى بن زيد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم فذكره وزاد « منهم البراء بن مالك » وروى أيضا عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « طوبى للأتقياء الأثرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصابيح مجردون من كل فتنة غبراء مشتتة » وقال أبو بكر بن سهل التميمى حدثنا ابن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد عن عياش بن عباس عن عيسى بن عبد الرحمن عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكى عند قبر رسول الله ﷺ فقال له ما يبكيك يامعاذ ؟ قال حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم : سمعته يقول « إن اليسير من الرياء شرك وإن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأثرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا ، قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة » حدثنا الوليد بن شجاع حدثنا غنام بن على عن حميد بن عطاء الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « رب ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره ، لو قال اللهم إنى أسألك الجنة لأعطاه الله الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئاً » وقال أيضا حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبى الجعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من أمتى من لو أتى باب أحدكم يسأله ديناراً أو درهما أو فلساً لم يعطه ، ولو سأل الله الجنة لأعطاه إياها ، ولو سأله الدنيا لم يعطه إياها ولم يمنعها إياه لهوانه عليه ، ذو طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » وهذا مرسل من هذا الوجه وقال أيضا حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا جعفر بن سليمان حدثنا عوف قال : قال أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن من ملوك الجنة من هو أشعث أغبر ذو طمرين لا يؤبه له الذين إذا استأذنوا على الأمراء لم يؤذن لهم ، وإذا خطبوا النساء لم ينكحوا ، وإذا قالوا لم ينصت لهم ، حوائج أحدهم تتلجلج فى صدره ، لو قسم نوره

يوم القيامة بين الناس لوسعهم » قال وأنشدنى عمر بن شيبة عن ابن عائشة قال : قال عبدالله بن المبارك :

ألا رب ذى طمرين فى منزل غدا زرابيه مبثوثة ونمارقه
قد اطردت أنواره حول قصره وأشرق والتفت عليه حدائقه

وروى أيضا من حديث عبيد الله بن زحر عن على بن زيد عن القاسم عن أبى أمامة مرفوعا « قال الله : من أغبط أوليائى عندى مؤمن خفيف الحاذ ، ذو حظ من صلاة ، أحسن عبادة ربه وأعطاه فى السر ، وكان غامضا فى الناس لايشار إليه بالأصابع إن صبر على ذلك » قال ثم أنفذ رسول الله ﷺ بيده وقال « عجنت منيته ، وقل تراثه وقلت بواكيه » وعن عبدالله بن عمرو قال : أحب عباد الله إلى الله الغرباء ، قيل ومن الغرباء ، قال الفرارون بدينهم يجمعون يوم القيامة إلى عيسى بن مريم . وقال الفضيل بن عياض بلغنى أن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ألم أنعم عليك ألم أعطك ألم أسترك ؟ ألم ... ألم ... ألم أجمل ذكرك . ثم قال الفضيل إن استطعت أن لاتعرف فافعل وما عليك أن لايثنى عليك وما عليك أن تكون مذموما عند الناس محبوبا عند الله . وكان ابن محيريز يقول اللهم إنى أسألك ذكرا خاملا ، وكان الخليل بن أحمد يقول اللهم اجعلنى عندك من أرفع خلقك واجعلنى فى نفسى من أوضع خلقك . وعند الناس من أوسط خلقك . ثم قال ﴿ باب ماجاء فى الشهرة ﴾ حدثنا أحمد بن عيسى المصرى حدثنا ابن وهب عن عمر بن الحارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال حسب امرئ من الشر إلا من عصم الله أن يشير الناس اليه بالأصابع فى دينه ودنياه ، وإن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن إلى قلوبكم وأعمالكم » وروى مثله عن إسحاق بن البهلول عن ابن أبى فديك عن محمد بن عبد الواحد الأخنسى عن عبد الواحد بن أبى كثير عن جابر ابن عبد الله مرفوعا مثله ، وروى عن الحسن مرسلا نحوه فقيل للحسن فانه يشار اليك بالأصابع ، فقال إنما المراد من يشار اليه فى دينه بالبدعة وفى دنياه بالفسق : وعن على رضى الله عنه قال : لاتبدأ لأن تشتهر ، ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم ، تسر الأبرار وتغيظ الفجار : وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله ماصدق الله من أحب الشهرة . وقال أيوب ماصدق الله عبد إلا سره أن لايشعر بمكانه . وقال محمد بن العلاء من أحب الله أحب أن لايعرفه الناس . وقال سماك بن سلمة إياك وكثرة الأخلاء . وقال أبان بن عثمان إن أحببت أن يسلم اليك دينك فأقل من المعارف . كان أبو العالية إذا جلس اليه أكثر من ثلاثة نهض وتركهم . وقال حدثنا على بن الجعد أخبرنا شعبة عن عوف عن أبى رجاء قال رأى طلحة قوما يمشون معه فقال ذباب طمع وفراش النار : وقال ابن إدريس عن هرون بن أبى عيسى عن سليم بن حنظلة قال بينا نحن حول أبى إذ علاه عمر بن الخطاب بالدرة وقال : إنها مذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال ابن عون عن الحسن خرج ابن مسعود فاتبعه أناس فقال والله لو تعلمون ما أغلق عليه بابى ما اتبعنى منكم رجلان . وقال حماد بن زيد كنا إذا مررنا على المجلس ومعنا أيوب فسلم ردوا ردا شديدا فكان ذلك نعمة . وقال عبدالرزاق عن معمر كان أيوب يطيل قميصه فقيل له فى ذلك فقال إن الشهرة فيما مضى كانت فى طول القميص واليوم فى تشميره . واصطنع مرة نعلين على حذو نعلى النبى صلى الله عليه وسلم فلبسهما أياما ثم خلعهما وقال لم أر الناس يلبسونهما . وقال إبراهيم النخعى لاتلبس من الثياب مايشهر فى الفقهاء ولاما يزدريك السفهاء . وقال الثورى كانوا يكرهون من الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس اليه فيها أبصارهم . والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل دينه ، وحدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد عن أبى حسنة صاحب الزيادى قال كنا عند أبى قلابة إذ دخل عليه رجل عليه أكسية فقال إياكم وهذا الحمار النهاق . وقال الحسن رحمه الله إن قوما جعلوا الكبر فى قلوبهم والتواضع فى ثيابهم ، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه مالهم تفاقدوا ، وفى بعض الأخبار أن موسى عليه السلام قال لبنى إسرائيل مالكم تأتونى عليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب البسوا ثياب الملوك وألينوا قلوبكم بالخشية ﴿ فصل فى حسن الخلق ﴾ قال أبو التياح عن أنس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ، وعن عطاء عن ابن عمر قيل يارسول الله أى المؤمنين أفضل ؟ قال « أحسنهم خلقا » وعن نوح بن عباد عن ثابت عن أنس مرفوعا « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه

درجات الآخرة وشرف المنازل وإنه لضعيف العبادة وإنه ليبلغ بسوء خلقه درك جهنم وهو عابد» وعن سيار بن هارون عن حميد عن أنس مرفوعا «ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» وعن عائشة مرفوعا « إن العبد ليبلغ بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار » وقال ابن أبي الدنيا حدثني أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس حدثنا عبد الله بن إدريس أخبرني أبي وعمي عن جدي عن أبي هريرة رضي الله عنه سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال « تقوى الله وحسن الخلق » وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال « الأجوفان الفم والفرج » وقال أسامة بن شريك كنت عند رسول الله ﷺ فجاءته الأعراب من كل مكان فقالوا يا رسول الله ما خير ما أعطى الإنسان ؟ قال « حسن الخلق »

وقال يعلى بن مماك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء يبلغ به قال : ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن ، وكذا رواه عطاء عن أم الدرداء به وعن مسروق عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « إن من خياركم أحسنكم أخلاقا » حدثنا عبد الله بن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عيسى عن محمد بن أبي سارة عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه الأجر ويروح » وعن مكحول عن أبي ثعلبة مرفوعا « إن أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني منزلا في الجنة مساويكم أخلاقا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون » وعن أبي أويس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا « ألا أخبركم بأكملكم إيمانا أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يؤلفون ويألفون » وقال الليث عن يزيد بن عبد الله بن أسامة عن بكر بن أبي الفرات قال : قال رسول الله ﷺ « ما حسن الله خلق رجل وخلقه فتطعمه النار » وعن عبد الله بن غالب الحداني عن أبي سعيد مرفوعا « خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق » وقال ميمون بن مهران عن رسول الله ﷺ « ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق » وذلك أن صاحبه لا يخرج من ذنب إلا وقع في آخر. قال حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو المغيرة الأحمسي حدثنا عبد الرحمن ابن إسحق عن رجل من قريش قال : قال رسول الله ﷺ « ما من ذنب أعظم عند الله من سوء الخلق ، إن الخلق الحسن ليذيب الذنوب كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل » وقال عبد الله بن إدريس عن أبيه عن جده عن أبي هريرة مرفوعا « إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق » وقال محمد بن سيرين حسن الخلق عون على الدين ، ﴿ فصل في ذم الكبر ﴾ قال علقمة عن ابن مسعود رفعه « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان » وقال إبراهيم بن أبي عبلة عن أبي سلمة عن عبد الله بن عمرو مرفوعا « من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار » حدثنا إسحق بن إسماعيل حدثنا أبو معاوية عن عمر بن راشد عن إياس بن سلمة عن أبيه مرفوعا « لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب عند الله من الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب » ، وقال مالك بن دينار ركب سليمان بن داود عليهما السلام ذات يوم البساط في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع تسبيح الملائكة في السماء ثم خفض حتى مست قدمه ماء البحر فسمعوا صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسف به أبعد مما رفع قال حدثنا أبو خيثمة حدثنا يزيد بن هارون عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال كان أبو بكر يخطبنا فيذكر بدء خلق الإنسان حتى إن أحدنا ليقذر نفسه يقول : خرج من مجرى البول مرتين وقال الشعبي من قتل اثنين فهو جبار ثم تلا (أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض) وقال الحسن عجبا لابن آدم يغسل الخرء بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات . قال حدثنا خالد بن خداش حدثنا حماد بن زيد عن علي بن الحسن عن الضحاك بن سفيان فذكر حديث ضرب مثل الدنيا بما يخرج من ابن آدم . وقال الحسن عن يحيى عن أبيه قال ان مطعم ابن آدم ضرب مثلا للدنيا وان قزحه وملحه . وقال محمد بن الحسين بن علي — من ولد علي رضي الله عنه — ما دخل قلب رجل من شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك . وقال

يونس بن عبيد ليس مع السجود كبر ولا مع التوحيد نفاق ، ونظر طاوس إلى عمر بن عبد العزيز وهو يختال فى مشيته وذلك قبل أن يستخلف فطعن طاوس فى جنبه بأصبعه وقال ليس هذا شأن من فى بطنه خرء ؟ ! فقال له كالمعتذر إليه : يا عم لقد ضرب كل عضو منى على هذه المشية حتى تعلمتها قال أبو بكر بن أبى الدنيا كان بنو أمية يضربون أولادهم حتى يتعلمون هذه المشية ﴿ فصل فى الاختيال ﴾ عن ابن أبى ليلى عن ابن بريدة عن أبيه مرفوعا « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه » ورواه عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان عن زيد بن أسلم عن ابن عمر مرفوعا مثله وحدثنا محمد بن بكار حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه عن الأعرج عن أبى هريرة مرفوعا « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره ، وبينما رجل يتبختر فى برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وروى الزهرى عن سالم عن أبيه بينما رجل إلى آخره .

﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى منبها خلقه على نعمه عليهم فى الدنيا والآخرة بأنه سخر لهم ما فى السموات من نجوم يستضيئون بها فى ليلهم ونهارهم وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد وجعله إياها لهم سقفا محفوظا وما خلق لهم فى الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة من إرسال الرسل وإنزال الكتب وإزاحة الشبه والعلل ثم مع هذا كله ما آمن الناس كلهم بل منهم من يجادل فى الله أى فى توحيده وإرساله الرسل ومجادلته فى ذلك بغير علم ولا مستند من حجة صحيحة ولا كتاب مأثور صحيح ، ولهذا قال تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أى مبين مضىء (وإذا قيل لهم) أى لهؤلاء المجادلين فى توحيد الله (اتبعوا ما أنزل الله) أى على رسوله من الشرائع المطهرة (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا) أى لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين ، قال الله تعالى (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) أى فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه ولهذا قال تعالى (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير)

﴿ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ * وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أى أخلص له العمل وانقاد لأمره واتبع شرعه ، ولهذا قال (وهو محسن) أى فى عمله : باتباع ما به أمر ، وترك ما عنه زجر (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أى فقد أخذ موثقا من الله متينا أنه لا يعذبه (وإلى الله عاقبة الأمور * ومن كفر فلا يحزنك كفره) أى لا تحزن عليهم يا محمد فى كفرهم بالله وبما جئت به فان قدر الله نافذ فيهم وإلى الله مرجعهم فينبئهم بما عملوا أى فيجزيهم عليه (إن الله عليم بذات الصدور) فلا تخفى عليه خافية ثم قال تعالى (نمتعهم قليلا) أى فى الدنيا (ثم نضطرهم) أى نلجئهم (إلى عذاب غليظ) أى فظيع صعب مشق على النفوس كما قال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون)

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن هؤلاء المشركين به أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له ، ولهذا قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله) أى إذ قامت عليكم الحجة باعترافكم (بل أكثرهم لا يعلمون) ثم قال تعالى (لله ما فى السموات والأرض) أى هو خلقه وملكه (إن الله هو الغنى الحميد) أى الغنى عما سواه وكل شىء فقير إليه الحميد فى جميع ما خلق له الحمد فى السموات والأرض على ما خلق وشرع وهو المحمود فى الأمور كلها

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن عظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العلا وكلماته التامة التى لا يحيط بها أحد ولا اطلاع لبشر على كنهها وإحصائها كما قال سيد البشر وخاتم الرسل «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فقال تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) أى ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما وجعل البحر مداداً وأمده سبعة أبحر معه فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام ونفد ماء البحر ولو جاء بأمثالها مددا ، وإنما ذكرت السبعة على وجه المبالغة ولم يرد الحصر ولا أن ثم سبعة أبحر موجودة محيطة بالعالم كما يقوله من تلقاه من الاسرائيليات التى لا تصدق ولا تكذب بل كما قال تعالى فى الآية الأخرى (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا) فليس المراد بقوله (بمثله) آخر فقط بل بمثله ثم بمثله ، ثم بمثله ثم هلم جرا لأنه لا حصر لآيات الله وكلماته قال الحسن البصرى لو جعل شجر الأرض أقلاما وجعل البحر مدادا ، وقال الله إن من أمرى كذا ومن أمرى كذا لنفد ماء البحر وتكسرت الأقلام ، وقال قتادة قال المشركون إنما هذا كلام يوشك أن ينفد فقال الله تعالى (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) أى لو كان شجر الأرض أقلاما ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربى وحكمته وخلقه وعلمه . وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم فى علم الله كقطرة من ماء البحور كلها ، وقد أنزل الله ذلك (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية يقول لو كان البحر مداداً لكلمات الله والأشجار كلها أقلاما لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وبقيت كلمات الله قائمة لا يفنيها شىء لأن أحدا لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثنى عليه كما ينبغى حتى يكون هو الذى يثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما نقول . وقد روى أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود قال ابن إسحق حدثنى محمد بن أبى محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة يا محمد أرأيت قولك (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ « كلا كا » قالوا ألست تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراة فيها تبيان لكل شىء ؟ فقال رسول الله ﷺ « إنها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم » وأنزل الله فيما سألوه عنه من ذلك (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام) الآية وهكذا روى عن عكرمة وعطاء بن يسار وهذا يقتضى أن هذه الآية مدنية لا مكية والمشهور أنها مكية والله أعلم وقوله (إن الله عزيز حكيم) أى عزيز قد عز كل شىء وقهره وغلبه فلا مانع لما أراد ولا مخالف ولا معقب لحكمه حكيم فى خلقه وأمره وأقواله وأفعاله وشرعه وجميع شئونه وقوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أى ما خلق جميع الناس وبعثهم يوم المعاد بالنسبة إلى

قدرته إلا كنسبة خلق نفس واحدة الجميع هين عليه (إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أى لا يأمر بالشيء إلا مرة واحدة فيكون ذلك الشيء لا يحتاج إلى تكرره وتوكيده (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) وقوله (إن الله سميع بصير) أى كما هو سميع لأقوالهم بصير بأفعالهم كسمعه وبصره بالنسبة إلى نفس واحدة كذلك قدرته عليهم كقدرته على نفس واحدة ولهذا قال تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) الآية

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾

يخبر تعالى أنه (يولج الليل فى النهار) يعنى يأخذ منه فى النهار فيطول ذاك ويقصر هذا وهذا يكون زمن الصيف يطول النهار إلى الغاية ثم يشرع فى النقص فيطول الليل ويقصر النهار وهذا يكون فى الشتاء (وسخر الشمس والقمر كل يجرى إلى أجل مسمى) قيل إلى غاية محدودة وقيل إلى يوم القيامة وكلا المعنيين صحيح ويستشهد للقول الأول بحديث أبى ذر رضى الله عنه الذى فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يا أبا ذر أتدرى أين تذهب هذه الشمس ؟ » قلت الله ورسوله أعلم . قال « فانها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأذن ربها فيوشك أن يقال لها ارجعى من حيث جئت » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنا يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس أنه قال : الشمس بمنزلة الساقية تجرى بالنهار فى السماء فى فلكها فإذا غربت جرت بالليل فى فلكها تحت الأرض حتى تطلع من مشرقها قال وكذلك القمر إسناده صحيح ، وقوله (وان الله بما تعملون خبير) كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض) ومعنى هذا أنه تعالى الخالق العالم بجميع الأشياء كقوله تعالى (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية وقوله تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) أى إنما يظهر لكم آياته لتستدلوا بها على أنه الحق أى الموجود الحق الإله الحق وأن كل ما سواه باطل فانه الغنى عما سواه وكل شيء فقير إليه لأن كل ما فى السموات والأرض الجميع خلقه وعبيده لا يقدر أحد منهم على تحريك ذرة إلا بإذنه ولو اجتمع كل أهل الأرض على أن يخلقوا ذبابا لعجزوا عن ذلك ، ولهذا قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلى الكبير) أى العلى الذى لا أعلى منه الكبير الذى هو أكبر من كل شيء فكل خاضع حقير بالنسبة إليه

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴾

يخبر تعالى أنه هو الذى سخر البحر لتجرى فيه الفلك بأمره أى بلطفه وتسخيره فانه لولا ما جعل فى الماء من قوة يحمل بها السفن لما جرت ، ولهذا قال (ليريكم من آياته) أى من قدرته (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى صبار فى الضراء شكور فى الرخاء ، ثم قال تعالى (وإذا غشيهم موج كالظلل) أى كالجبال والغمام (دعوا الله مخلصين له الدين) كما قال تعالى (وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه) وقال تعالى (فإذا ركبوا فى الفلك) الآية ثم قال تعالى (فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد) قال مجاهد أى كافر كأنه فسر المقتصد ههنا بالجاحد كما قال تعالى (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) وقال ابن زيد هو المتوسط فى العمل وهذا الذى قاله ابن زيد

هو المراد فى قوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد) الآية فالمقتصد ههنا هو المتوسط فى العمل ، ويحتمل أن يكون مرادا هنا أيضا ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات فى البحر ثم بعدما أنعم الله عليه بالخلاص كان ينبغى أن يقابل ذلك بالعمل التام والدؤوب فى العبادة والمبادرة إلى الخيرات ، فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصراً والحالة هذه والله أعلم . وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور) فالختار هو الغدار . قاله مجاهد والحسن وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وهو الذى كلما عاهد نقض عهده والختر أتم الغدر وأبلغه . قال عمرو بن معديكرب :

وإنك لو رأيت أبا عمير ملأت يديك من غدر وختر

وقوله (كفور) أى جحود للنعم لايشكرها بل يتناساها ولا يذكرها

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾

يقول تعالى منذراً للناس يوم المعاد وآمرا لهم بتقواه والخوف منه والخشية من يوم القيامة حيث (لايجزى والد عن ولده) أى لو أراد أن يفديه بنفسه لما قبل منه . وكذلك الولد لو أراد فداء والده بنفسه لم يقبل منه ثم عاد بالموعظة عليهم بقوله (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أى لا تلهينكم بالطمأنينة فيها عن الدار الآخرة (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان . قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة فانه يغر ابن آدم ويعده ويمنيه وليس من ذلك شىء بل كان كما قال تعالى (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) قال وهب بن منبه قال عزير عليه السلام لما رأيت بلاء قومى اشتد حزنى وكثر همى وأرق نومى فتضرعت إلى ربى وصليت وصمت فأنا فى ذلك التضرع أبكى إذ أتانى الملك فقلت له خبرنى هل تشفع أرواح الصديقين للظلمة أو الآباء لأبنائهم ؟ قال إن القيامة فيها فصل القضاء وملك ظاهر ليس فيه رخصة لايتكلم فيه أحد إلا بإذن الرحمن ، ولايؤخذ فيه والد عن ولده ولا ولد عن والده ولا أخ عن أخيه ولا عبد عن سيده ولا يهتم أحد به بغيره ، ولايحزن لحزنه ولا أحد يرحمه ، كل مشفق على نفسه ، ولايؤخذ إنسان عن إنسان ، كل يهمه همه ويبكى عوله ، ويحمل وزره ولا يحمل وزره معه غيره . رواه ابن أبى حاتم

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

هذه مفاتيح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها فلا يعلمها أحد إلا بعد إعلامه تعالى بها ؛ فعلم وقت الساعة لايعلمه نبى مرسل ولا ملك مقرب (لايجليها لوقتها إلا هو) وكذلك إنزال الغيث لايعلمه إلا الله ولكن إذا أمر به علمته الملائكة الموكلون بذلك ومن يشاء الله من خلقه وكذلك لايعلم مافى الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى أو شقيا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك ومن شاء الله من خلقه ، وكذا لاتدرى نفس ماذا تكسب غدا فى دنياها وأخراها (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) فى بلدها أو غيره من أى بلاد الله كان لاعلم لأحد بذلك وهذه شبيهة بقوله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلاهو) الآية . وقد وردت السنة بتسمية هذه الخمس مفاتيح الغيب

قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبى بريدة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لا يعلمهن إلا الله عز وجل (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) » هذا حديث

صحيح الإسناد ولم يخرجوه ﴿حديث ابن عمر﴾ قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) » انفرد بإخراجه البخارى فرواه فى كتاب الاستسقاء فى صحيحه عن محمد بن يوسف الفريابى عن سفيان بن سعيد الثورى به ، ورواه فى التفسير من وجه آخر فقال حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب حدثنى عمر بن محمد ابن زيد بن عبد الله بن عمر أن أباه حدثه أن عبد الله بن عمر قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب خمس » ثم قرأ (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام) انفرد به أيضا . ورواه الإمام أحمد عن غندر عن شعبة عن عمر بن محمد أنه سمع أباه يحدث عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « أوتيت مفاتيح كل شىء إلا الخمس (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) » ﴿حديث ابن مسعود﴾ رضى الله عنه قال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة ثنى عمرو ابن مرة عن عبدالله بن سلمة قال : قال عبدالله أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شىء غير خمس (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) وكذا رواه عن محمد بن جعفر عن شعبة عن عمرو بن مرة به وزاد فى آخره . قال قلت له أنت سمعته من عبد الله : قال نعم أكثر من خمسين مرة ، ورواه أيضا عن وكيع عن مسعر عن عمرو بن مرة به وهذا إسناد حسن على شرط أصحاب السنن ولم يخرجوه ﴿حديث أبى هريرة﴾ قال البخارى عند تفسير هذه الآية : حدثنا إسحاق عن جرير عن أبى حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزا للناس إذ أتاه رجل يمشى فقال يارسول الله : ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر » قال يارسول الله ما الإسلام قال « الإسلام . أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان » قال يارسول الله ما الإحسان . قال « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك » قال يارسول الله متى الساعة ، قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها ، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله ، إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ، ويعلم مافى الأرحام » الآية ثم انصرف الرجل فقال « ردوه على » فأخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال « هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم » ورواه البخارى أيضا فى كتاب الإيمان ومسلم من طرق عن أبى حيان به وقد تكلمنا عليه فى أول شرح البخارى وذكرنا ثم حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى ذلك بطوله وهو من افراد مسلم ﴿حديث ابن عباس﴾ قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا بهز حدثنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال : جلس رسول الله ﷺ مجلسا فأتاه جبريل فجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا كفيه على ركبتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما الإسلام ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله » قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد أسلمت » قال يارسول الله فحدثنى ما الإيمان ؟ قال « الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت ، وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان ، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره » قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنت ، قال « إذا فعلت ذلك فقد آمنت » قال يارسول الله حدثنى ما الإحسان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه فإن كنت لاتراه فانه يراك » قال يارسول الله فحدثنى متى الساعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى — سبحان الله — فى خمس لا يعلمهن إلا الله (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث . ويعلم مافى الأرحام ، وماتدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير) ولكن إن

شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك ـ قال أجل يا رسول الله فحدثنى قال رسول الله ﷺ ـ إذا رأيت الأمة ولدت ربتها ـ أوربها ـ ورأيت أصحاب البنيان يتطاولون فى البنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة رءوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها » قال يا رسول الله ومن أصحاب البنيان الحفاة الجياع العالة ؟ قال «العرب» حديث غريب ولم يخرجوه ﴿ حديث رجل من بنى عامر ﴾ روى الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن منصور عن ربعى بن حراش عن رجل من بنى عامر أنه استأذن على النبى ﷺ فقال أألج ؟ فقال النبى ﷺ لخادمه « اخرجى إليه فانه لا يحسن الاستئذان فقولى له فليقل السلام عليكم أأدخل » قال فسمعته يقول ذلك فقلت السلام عليكم أأدخل ؟ فأذن لى فدخلت فقلت بم أتيتنا ؟ قال « لم آتكم إلا بخير ، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لا شريك له ، وأن تدعوا اللات والعزى ، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات ؛ وأن تصوموا من السنة شهراً ، وأن تحجوا البيت وأن تأخذوا الزكاة من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم » قال فقال فهل بقى من العلم شىء لا تعلمه ؟ قال « قد علمنى الله عزوجل خيراً وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عزوجل : الخمس (إن الله عند علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام) » الآية وهذا إسناد صحيح وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد جاء رجل من أهل البادية فقال إن امرأتى حبلى فأخبرنى ماتلد ، وبلادنا مجدبة فأخبرنى متى ينزل الغيث ، وقد علمت متى ولدت فأخبرنى متى أموت فأنزل الله عزوجل (إن الله عنده علم الساعة ـ إلى قوله ـ عليم خبير) قال مجاهد وهى مفتاتيح الغيب التى قال الله تعالى (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو) رواه ابن أبى حاتم وابن جرير . وقال الشعبى عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : من حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ثم قرأت (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) وقوله تعالى (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) قال قتادة أشياء استأثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقرباً ولا نبياً مرسلا (إن الله عنده علم الساعة) فلا يدرى أحد من الناس متى تقوم الساعة فى أى سنة أوفى أى شهر أو ليل أونهار (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلا أو نهاراً (ويعلم ما فى الأرحام) فلا يعلم أحد ما فى الأرحام أذكر أم أنثى أحمر أو أسود وما هو (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً) أخير أم شر ، ولا تدرى يا ابن آدم متى تموت لعلك الميت غدا لعلك المصاب غدا (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أى ليس أحد من الناس يدرى أين مضجعه من الأرض أفى بحر أم بر أوسهل أوجبل . وقد جاء فى الحديث « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة » فقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير فى مسند أسامة ابن زيد حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن أبى المليح عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما جعل الله ميتة عبد بأرض إلا جعل له فيها حاجة » وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن أبى إسحاق عن مطر بن عكامس قال ؟ قال رسول الله ﷺ « إذا قضى الله ميتة عبد بأرض جعل له إليها حاجة » وهكذا رواه الترمذى فى القدر من حديث سفيان الثورى به ثم قال حسن غريب ولا يعرف لمطر عن النبى صلى الله عليه وسلم غير هذا الحديث وقد رواه أبو داود فى المراسيل فالله أعلم . وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن أبى المليح بن أسامة عن أبى عزة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض روح عبد بأرض جعل له فيها ـ أو قال بها ـ حاجة » وأبو عزة هذا هو بشار بن عبيد الله ويقال ابن عبد الهذلى . وأخرجه الترمذى من حديث إسماعيل ابن إبراهيم وهو ابن علية وقال صحيح . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأصفهانى حدثنا المؤمل ابن إسماعيل حدثنا عبيد الله بن أبى حميد عن أبى المليح عن أبى عزة الهذلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له إليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها » ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله عنده علم الساعة ـ إلى ـ عليم خبير) . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا أحمد بن ثابت الجحدرى ومحمد بن يحيى القطعى قالا حدثنا عمر بن على حدثنا إسماعيل عن قيس عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل لها إليها حاجة » ثم قال البزار وهذا الحديث لا نعلم أحداً

يرفعه إلا عمر بن علي المقدمي . وقال ابن أبي الدنيا حدثني سليمان بن أبي مسيح قال أنشدني محمد بن الحكم لأعشى همدان.

فما تزود مما كان يجمعه ... سوى حنوط غداة البين مع خرق
وغير نفحة أعواد تشب له ... وقل ذلك من زاد لمنطلق
لا تأسين على شيء فكل فتى ... إلى منيته سيار في عنق
وكل من ظن أن الموت يخطئه ... معلل بأعاليل من الحمق
بأيما بلدة تقدر منيته ... إلا يسير إليها طائعا يبق

أورده الحافظ ابن عساكر رحمه الله في ترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث وهو أعشى همدان وكان الشعبي زوج أخته وهو مزوج بأخت الشعبي أيضا ، وقد كان ممن طلب العلم والفقه ثم عدل إلى صناعة الشعر فعرف به ، وقد روى ابن ماجه عن أحمد بن ثابت وعمر بن شبة كلاهما عن عمر بن عكرمة مرفوعا إذا كان أجل أحدكم بأرض أتت له إليها حاجة فإذ بلغ أقصى أثره قبضه الله عز وجل فتقول الأرض يوم القيامة : يارب هذا ما أودعتني قال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن أيوب عن أبي المليح عن أسامة أن رسول الله ﷺ قال «ما جعل الله منية عبد بأرض إلا جعل له إليها حاجة» . آخر تفسير سورة لقمان ، والحمد لله رب العالمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ تفسير سورة الم السجدة ، وهي مكية ﴾

روى البخاري في كتاب الجمعة حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج عن أبي هريرة قال . كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و (هل أتى على الإنسان) ورواه مسلم أيضا من حديث سفيان الثوري به . وقال الإمام أحمد حدثنا أسود بن عامر أخبرنا الحسن بن صالح عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال كان النبي ﷺ لاينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك ، تفرد به أحمد .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ الم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله (تنزيل الكتاب لاريب فيه) أي لا شك فيه ولا مرية أنه منزل (من رب العالمين) ثم قال تعالى مخبراً عن المشركين (أم يقولون افتراه) بل يقولون افتراه أي اختلقه من تلقاء نفسه (بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون) أي يتبعون الحق .

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ * يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ * ذَٰلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾

يخبر تعالى أنه خالق للأشياء محلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، وقد تقدم الكلام على ذلك (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي بل هو المالك لأزمة الأمور الخالق لكل شيء المدبر لكل شيء القادر على كل شيء فلا ولي لخلقه سواه ، ولا شفيع إلا من بعد إذنه (أفلا تتذكرون) يعني أيها العابدون